٦٣ كُنْ فَيَكُون

قال الحق تبارك وتعالى في الحديث القدسي :

((يَا عِبَادِي .. لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ ، وَحَيَّكُمْ وَمَيِّتَكُمْ ، وَرَطْبَكُمْ وَيَابِسَكُمْ ، اجْتَمَعُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِد ، فَسَأَلَ كُلُّ إِنْسَانٍ مِنْكُمْ مَا بَلَغَتْ أُمْنِيَّتُهُ .

فَأَعْطَيْتُ كُلَّ سَائِلٍ مِنْكُمْ مَا سَأَلَ ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي إِلاَّ كَمَا لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ مَرَّ بِالبَحْرِ فَغَمَسَ فِيهِ إِبْرَةً ثُمَّ رَفَعَهَا إِلَيْهِ .

ذَلِكَ بِأَنِّي جَوَادٌ مَاجِدٌ ، أَفْعَلُ مَا أُرِيدُ ، عَطَائِي كَلاَمٌ ، وَعَذَابِي كَلاَمٌ ، إِنَّمَا أَمْرِي بِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْتُهُ أَنْ أَقُولَ لَهُ : كُنْ فَيَكُونُ)) [1]

القدرة الإلهية لا تعالج الأشياء كما تفعل أنت ، ولا تحتاج إلى مجهود

(١) أخـرجه الترمذي في سننه (٢٤٩٥) ، وأحمد في مسنده (٥ / ٧٧ ، ١٥٤) من حـديث أبـي ذر رضي الله عنه . قال الترمذي : حديث حسن . في إسناده شهر بن حوشب ، ضعَّفه بعضهم ، وقد حسَّن البخاريُّ حديثه وقوَّى أمره .

وعمل ، بل في حقِّه تعالى يتم هذا كله بكلمة كُنْ .. كُنْ كذا وانتهتْ المسألة .

فإنْ كنتَ تظنُّ أن دولابَ الكون يقتضي أجهزةً كثيرةً لإدارته ، فاعلم أن الله تعالى لا يباشر تدبيرَ أمر الكون بعلاج ، يفعل هذه ويفعل هذه كما يزاول البشرُ أعمالهم ، بل يفعلها بـــ [كُنْ] .

فيا مَنْ تُشفق على الإله الواحد أن يتعبَ من إدارته للكون بشتَّى نواحيه، ارتفع بمستوى الألوهية عن أمثال البشر ، لأن اللهَ تعالى لا يباشر سلطانه علاجاً في الكون ، وإنما يباشره بكلمة [كُنْ] .

لذلك يقول الحق سبحانه : ﴿ ۞ وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ فَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ﴿٥١﴾ ﴾ [النحل]

فإلهٌ واحدٌ يكفي ، فمعنى [إلهين] أي : معبودين ، فيكون لهما أوامرُ ونَوَاه والأوامر تحتاج إلى طاعة ، والكون يحتاج إلى تدبير ، فأيُّ الإلهين يقوم بتدبير أمور الكون ؟ أم أنه يحتاج إلى مساعد ؟ إنْ كان يحتاج إلى مساعد فهذا نقصٌ فيه ، ولا يصلح أن يكون إلهاً .

وكذلك إنْ تخصَّص كلٌّ منهما في عمل ما ، هذا لكذا وهذا لكذا ، فقد أصبح أحدهما عاجزاً فيما يقوم به الآخر . وأيُّ ناحية من نواحي الحياة تكون هي المُسيطرة ؟ ومعلومٌ أن نواحيَ الحياة مشتركةٌ ومتشابكة .

لذلك يقول الحق تبارك وتعالى : ﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٖ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنۡ إِلَٰهٍۚ إِذٗا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهِۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ سُبۡحَٰنَ

ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ ﴾ [المؤمنون]

وقال : ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا .. ﴿٢٢﴾ ﴾ [الأنبياء]

فكيف الحال إذا أراد الأولُ شيئاً ، وأراد الآخرُ ألاَّ يكونَ هذا الشيء ؟ فإنْ كان الشيءُ كان عَجْزاً في الثاني ، وإنْ لم يكُنْ كان عَجْزاً في الأول . إذن : فقوةُ أحدهما عَجْزٌ في الآخر .

لذلك قال الحق سبحانه عن نفسه : ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾ ﴾ [البقرة]

فبعد أنْ بيَّنَ اللهُ تبارك وتعالى .. أن قولهم : اتخذ اللهُ ولداً هو افتراءٌ على الله .. أراد الحقُّ سبحانه أن يلفتنا إلي بعض من قدراته ، فقال جل جلاله : ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ .. ﴿١١٧﴾ ﴾ [البقرة]

أي : خلق السماوات والأرض وكلَّ ما فيها من خَلق على غير مثال سابق .. أي : لم يكُنْ هناك سماءٌ أو أرضٌ أو ملائكةٌ أو جنٌّ أو إنسانٌ .. ثم جاء اللهُ سبحانه وتعالى وأوجد متشابهاً لهم في شكل أو حجم أو قدرة .. أي : أنه سبحانه لم يلجأ إلي ما نسميه نحن بالقالب .

إن الذي يصنع كوبَ الماء يصنع أولاً قالباً يصُبُّ فيه خام الزجاج المنصهر .. فتخرج في النهاية أكوابٌ متشابهةٌ .. وكلُّ صناعة لغير الله تتم على أساس صنع القالب أولاً ثم بعد ذلك يبدأ الإنتاج .. ولذلك فإن التكلفة الحقيقية هي في إعداد القالب الجيد الذي يعطينا صورةً لما نريد .

والذي يخبز رغيفاً مثلاً قد لا يستخدم قالباً ولكنه يقلد شيئاً سبق ..

فشكل الرغيف وخامته سبق أنْ تمَّ وهو يقوم بتقليدهما في كل مرة .. ولكنه لا يستطيع أنْ يعطي التماثل في الميزان أو الشكل أو الاستدارة .. بل هناك اختلافٌ في التقليد ولا يوجد كمالٌ في الصناعة .

وحين خلق الله جلَّ جلاله الخَلْق من آدم إلي أن تقوم الساعة .. جعل الخلق متشابهين في كل شيء .. في تكوين الجسم وفي شكله في الرأس والقدمين واليدين والعينين .. وغير ذلك من أعضاء الجسم .. تماثلاً دقيقاً في الشكل وفي الوظائف .. بحيث يؤدي كلُّ عضو مهمته في الحياة .. ولكن هذا التماثلَ لم يتم على قالب وإنما تم بكلمة كُنْ .

ورغم التشابه في الخَلْق فكلٌّ منا مختلفٌ عن الآخر اختلافاً يجعلك قادراً على تمييزه بالعلم والعين .. فبالعلم كلٌّ منا له بصمةُ إصبع وبصمةُ صوت يمكن أنْ يُميِّزَها خبراءُ التسجيل .. وبصمة رائحة قد لا نميزها نحن ولكن تُميزها الكلابُ المدربة .. فتشم الشيء ثم تسرع فتدلنا على صاحبه ولو كان بين ألف من البشر .. وبصمة شفرة تجعل الجسدَ يعرف بعضه بعضاً .. فإن جئتَ بخلية من جسد آخر لفظها ، وإنْ جئتَ بخلية من الجسد نفسه اتحدَّ معها وعالج جراحها .

وإذا كان هذا بعضُ ما وصل إليه العلم .. فإن هناك الكثيرَ مما قد نصل إليه ليؤكد لنا أنه رغم تشابه بلايين الأشخاص .. فإن لكلٍّ واحد ما يُميِّزه وحده ولا يتكرر مع خَلْق الله كلِّهم .

وهذا هو الإعجازُ في الخلق ودليلٌ على طلاقة قدرة الله في كونه ، والله سبحانه وتعالى يعطينا المعنى العام في القرآن الكريم بأن هذا من آياته

وأنه لم يحدثْ مصادفةً ولم يأت بطريق غير مخطط بل هو مُعَدٌّ بقدرة الله سبحانه .. فيقول جل جلاله :

﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الروم]

هذا الاختلاف يُمثل لنا طلاقةَ قدرة الله سبحانه في الخَلْق على غير مثال .. فكلُّ مخلوق يختلف عَمَّنْ قبله وعمَّنْ بعده وعمَّنْ حوله .. مع أنهم في الشكل العام متماثلون .. ولو أنك جمعتَ الناسَ كلهم منذ عهد آدم إلي يوم القيامة تجدهم في صورة واحدة .. وكلُّ واحد منهم مختلفٌ عن الآخر .. فلا يوجد بشران من خلق الله كلٌّ منهما طبق الأصل من الآخر .

هذه دقةُ الصُّنع ، وهذا ما نفهمه من قوله تعالى : ﴿ بَدِيعُ ﴾ .. والدقة تعطي الحكمة .. والإبراز في صور متعددة يعطي القدرة .. ولذلك بعد أن نموت وتتبعثر عناصرنا في التراب يجمعنا اللهُ يوم القيامة .. والإعجاز في هذا الجمع هو أن كلَّ إنسان سيبعث من عناصره نفسها وصورته نفسها وهيئته نفسها التي كان عليها في الدنيا .

ولذلك قال الحق سبحانه : ﴿ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ ۖ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٌۢ ﴿٤﴾ ﴾ [سورة ق]

إذن : الله سبحانه وتعالى بطلاقة قدرته في الإيجاد قد خلقنا .. وبطلاقة قدرته في إعادة الخلق يُحيينا بعد الموت .. بشكلنا ولحمنا وصفاتنا وكل ذرة فينا .. هل هناك دقة بعد ذلك ؟

لو أننا أتينا بأدقِّ الصُّناع وأمهرهم وقلنا له : اصنع لنا شيئاً تجيده . فلما صنعه قلنا له : اصنع مثله . إنه لا يمكن أن يصنع نموذجاً مثله بالمواصفات نفسها ؛ لأنه يفتقد المقاييسَ الدقيقة التي تُمدّه بالمواصفات نفسها التي صنعها . إنه يستطيع أن يعطينا نموذجاً متشابهاً ، ولكن ليس مثل ما صنع تماماً .

لكن الله سبحانه وتعالى يتوفَّى خلْقه وساعة القيامة أو ساعة بَعْثهم يُعيدهم بمُكوِّناتهم نفسها التي كانوا عليها دون زيادة أو نقص . وذلك لأن الله جلَّ جلاله لا يخلقُ وفق قوالب معينة ، وإنما يقول للشيء : كُنْ فيكون .

تقول الآية الكريمة : ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾ ﴾ [البقرة]

﴿ كُن ﴾ وردتْ كثيراً في القرآن الكريم .. وفي اللغة شيءٌ يُسمَّى المشترك اللفظ يكون واحداً ومعانيه تختلف حسب السياق .. فمثلاً كلمة قضى لها معاني متعددة ، ولها معنىً يجمع كلَّ معانيها .. مرة يأتي بها الحقُّ بمعنى فرغ أو انتهى .. في قوله تعالى :

﴿ فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ۗ ﴿٢٠٠﴾ ﴾ [البقرة]

ومعناها : إذا انتهيتُم من مناسك الحج .. ومرة يقول سبحانه :

﴿ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴿٧٢﴾ ﴾ [طه]

والمعنى : افعل ما تريد .

وفي آية أخرى يقول الله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ .. ﴿٣٦﴾ ﴾ [الأحزاب]

والمعنى : أنه إذا قال الله شيئاً لا يترك للمؤمنين حقَّ الاختيار .

ومرَّة يُصوِّر اللهُ جَلَّ جلاله الكفارَ في الآخرة وهم في النار يريدون أن يستريحوا من العذاب بالموت .. واقرأ قوله سبحانه :

﴿ وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾ [الزخرف] ﴿ لِيَقْضِ عَلَيْنَا ﴾ هنا معناها يُميتنا .

ومعنى آخر في قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ .. ﴿٢٢﴾ ﴾ [إبراهيم] أي لما انتهى الأمر ووقع الجزاء .

وفي موقع آخر يقول سبحانه : ﴿ ۞ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ .. ﴿٢٩﴾ ﴾ [القصص] قضى الأجل هنا بمعنى : أتمَّ الأجل .

وفي قوله سبحانه وتعالى : ﴿ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ ۚ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٥٤﴾ ﴾ [يونس] أي : حكم وفصل بينهم .

وقوله جلَّ جلاله : ﴿ وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾ ﴾ [الإسراء] بمعنى : أعلمنا بني إسرائيل في كتابهم .

إذن : [قَضَى] لها مَعَان متعددة يُحدِّدها السياق .. ولكن هناك معنىً تلتقي فيه كلُّ المعاني .. وهو قضى أي : حكم . وهذا هو المعنى الأم .. إذن : معنى قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا ﴾ .. أي : إذا حكم بحكم فإنه يكون .

على أننا يجب أن نلاحظ قول الحق : ﴿ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾ ﴾ [البقرة] .. معنى ﴿ يَقُولُ لَهُۥ ﴾ أن الأمرَ موجودٌ عنده .. موجودٌ في علمه .. ولكنه لم يصلْ إلي علمنا .

أي : أنه ليس أمراً جديداً .. لأنه ما دام الله سبحانه وتعالى قال : ﴿ يَقُولُ لَهُۥ ﴾ .. كأنه جلَّ جلاله يخطب موجوداً .. ولكن هذا الموجود ليس في علمنا ولا نعلم عنه شيئاً .. وإنما هو موجودٌ في علم الله سبحانه وتعالى .. ولذلك قيل : إن لله أموراً يُبديها ولا يبتديها .. إنها موجودةٌ عنده لأن الأقلامَ رُفعتْ ، والصحف جفَّتْ .. ولكنه يبديها لنا نحن الذين لا نعلمها فنعلمها .

فالحق سبحانه يخلق بلا أسباب ، لأنه أنشأ العالم أولَ ما أنشأ بلا أسباب ، بل بقوله : كُنْ . وقد أكد الحق هذا في مواضع كثيرة من قرآنه ، نحو قوله تعالى في شأن خلق عيسى عليه السلام من غير أب ، فقال على لسان أمه مريم عليها السلام :

﴿ قَالَتۡ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٞ وَلَمۡ يَمۡسَسۡنِي بَشَرٞۖ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾ ﴾ [آل عمران]

إنها طلاقةُ القدرة في الإنسال أو الإنجاب أو في عدم التكثير بالنسبة للإنسان ، وهي لا تتوقف على إيجاد ذكورة وأنوثة ، ولو كانت طلاقةُ القدرة متوقفةً على إيجاد ذكورة وأنوثة ، فكيف خُلقَ آدم أولَ الخَلْق ؟

إن طلاقةَ القدرة في الخلق لا تتوقف على إيجاد ذكورة وأنوثة ، إنه الحق الأعلى القادر على أن يخلقَ دون ذكورة أو أنوثة ، كخَلْقه لآدم عليه السلام ، ويخلق الحقّ سبحانه بواحد منهما كخَلْقه سبحانه لحواء وخَلق عيسى عليه السلام ، ويخلق الخالق الأعلى بالذكورة والأنوثة ، وهذه تتضح في خلق جمهرة الناس ، ولا تظنوا أن باجتماع الذكورة والأنوثة يمكن أن يُحقق الخلقُ فقد توجد الذكورةُ والأنوثةُ ولا يوجد إنجابٌ .

هاهو ذا القول الحق : ﴿ لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ ﴾ [الشورى]

هذه إرادة الحق .

إذن : فلا تقلْ : إن اكتمال عُنصري الذكورة والأنوثة هو الذي يُحدث الخَلْق ، لأن الخَلْق يحدث بإرادة الحق .

﴿ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾ ﴾ [آل عمران] فأنتم أيها المُحدثون تفعلون بالأسباب ، لكن الذي خلقكم وخلق الأسباب لكم هو الذي بيده أنْ يُوجد بلا أسباب ، لأنه أنشأ العالمَ أول ما أنشأ بدون أسباب .

ولا يوجد عندنا أقصر في الأمر من كلمة [كُن] فقدرته قادرةٌ بطلاقتها أن تسبق نطقنا بالكاف وهي الحرف الأول من كُنْ ، ولكن الحق سبحانه يوضح لنا بأقصر أمر على طريقة البشر ، إن الحق سبحانه وتعالى إذا أراد أمراً فإنه يقول له : كُن فَيَكُونُ .

وذلك إيضاح أن مجرد الإرادة الإلهية لأمر ما تجعله ينشأ على الفور ، و[كُن] هي مجرد إظهار الأمر للحلق ، هكذا نفهم معنى بشارة الحق لمريم عليها السلام بـ ﴿ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ .. ﴾ [آل عمران]

لذلك ، فالحق سبحانه حين يقول للشيء : ﴿ كُن فَيَكُونُ ﴾ [آل عمران] ما قال (كُنْ) إلا لأنه سبحانه يعلم أنه لا يستطيع ألاَّ يكون ، والدليل قوله تعالى عن الأرض ﴿ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴾ [الانشقاق] أي: أصغت السمع ، وحقَّ لها ذلك ، فما قال سبحانه لشيء كُنْ إلا وهو واثق أنه لا يخرج عن أمره .

والأمر هو نتيجة لما يشاؤه الله من حياة للناس على الأرض ، ونعلم أن الحق سبحانه له أوامر متعددة يجمعها إبراز المعدوم إلى الوجود ، فهو سبحانه القائل : ﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾ [النحل]

فإذا شاء أمراً جزئياً فهو يقول له : كُنْ فيكون ، وإذا أراد منهجاً فهو يُنزله وإذا أراد حساباً وعقاباً وساعة ، فهو القائل ﴿ أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ .. ﴾ [النحل] ، وهكذا نفهم أن معنى (أَمْرُ اللَّهِ) هو (كُن فَيَكُونُ) . أي : إخراج

المعدوم إلى حيِّز الوجود ، سواء كان معدوماً جزئياً أو معدوماً كلياً ، أو معدوماً أزلياً .

كل ذلك اسمه أمرٌ ،ولحظة أن يأمر اللهُ فنحن نثق أن مأمورَ الله يبرز ، لذلك قال تعالى: ﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ۝١ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ۝٢ ﴾[الانشقاق]

أي : أنها لم تسمع الأمر فقط ، بل نفَّذته فَوْرَ صدوره ، دون أدنى ذرة من تخلُّف ، فأمرُ الله يُنفذ فَوْر صدوره من الحق سبحانه ، أما أمرُ البشر فهو عُرْضةٌ لأنْ يُطاع ، وعُرْضةٌ لأنْ يُعْصَى .

حتى أمْر البعث ليس علاجاً لجزئيات كلِّ شخص وضَمّ أجزائه وتسويته من آدم حتى قيام الساعة ، بل المسألة منضبطةٌ تماماً مع الأمر الإلهي (كُنْ) وبمجرد صدوره ودون حاجة لوقت ومزاولة يكون الجميع ماثلاً طائعاً ، كلُّ واحد منتظرٌ دوره ، منتظرٌ الإشارةَ .

فهو سبحانه فعَّالٌ لما يشاء ، كما قال هنا في الحديث القدسي : **(أفعل ما أريد)** .

ورسول الله ﷺ يقول في هذا الحديث القدسي عن رب العزة سبحانه وتعالى : ((يا عبادي ، لو أن أولكم وآخركم ، وإنسكم وجنكم ، قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيتُ كلَّ إنسان مسألته ، ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا أُدخل البحر)) .

فالحق سبحانه وتعالى عنده من السعة ما يعطي الكلَّ ، وسبحانه واسع عليم فخزائنُ الله ملأى لا تنفد ، وسعة الحق مطلقة ، فالحق سبحانه هو صاحب الخزائن التي لا تنفد .

وهو القائل سبحانه : ﴿ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ .. ﴿٩٦﴾ ﴾ [النحل]

فقدرته سبحانه تتسع لعطائنا جميعاً ، دون أن ينقص شيءٌ من عنده ، فهو يعطيك ويعطي الآخرين ولا ينقص مما عنده شيءٌ ، فعطاؤه سبحانه لواحد لا يمنع أن يعطيَ الآخر .

لذلك لا يشعر المؤمنُ بحسد أو حقد في قلبه لإنسان أنعم اللهُ عليه ، لأنه يعلم تماماً أن هذا لن ينقص من رزقه شيئاً ، فبعضُ الناس ربما حسدوا غيرهم من الذين يعطيهم الأغنياء رغبةً في أن يكون ذلك لهم وحدهم ، فإنك إنْ كان عندك كمٌّ من المال ثم اتصل بك قومٌ في حاجة فأعطيتهم منه ، ربما قال الآخرون ممَّنْ يرغبون في عطائك ويأملون في خيرك : إنك ستنقص مما عندك بقدر ما تعطي هؤلاء ، لأن ما عندك محدودٌ ، ولكن هنا العطاء ممن لا ينفد ما عنده .

يقول الحق سبحانه : ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ ﴾ [آل عمران]

فالله واسعُ العطاء ، بمعنى أنه قادرٌ على إعطاء الفضل لكل الخَلق ، ولن ينقص ذلك من فضله شيئاً ، ففضلُ الله يؤتيه سبحانه وتعالى مَنْ يشاء ، وتتسع قدرته لكلِّ مطلوب .

فعطاء الله دائم لا ينقطع ، لأن خزائنه لا تنفد ولا تنقص ، فهو سبحانه يعطي العطاء الواسع .